المحاضرة الثالثة: علم اجتماع الكلاسيكي والرابط الاجتماعي:

تساءل علماء الاجتماع، عن سر التلاحم والتعاون بين الأفراد، في كل المجالات الاجتماعية وبرزت محاولات تحليلية نظرية عامة، حول ما اصطلح عليه بمفهوم الرابط الاجتماعية أو le lien social باللاتنية، فبدؤوا بدراسة كل عناصر النظام الاجتماعي، والبنية والبناء الاجتماعي، لفهم المجتمع وما يسود فيه من ظواهر اجتماعية، محاولين البحث في حقيقة الانسان كفرد، وتفاعلاته مع غيره من الأفراد داخل المجتمع الإنساني.[1]

1. الرابط الاجتماعية في الفكر الخلدوني:

يتمثل الرابط الاجتماعي عند ابن خلدون في ظاهرة العصبية، التي تعتبر مصطلحا سوسيولوجيا خلدونيا فعندما نقول كلمة عصبية، يذهب تفكيرنا مباشرة إلى ابن خلدون، الذي يُعتبر أول من أعطى الدلالة السوسيولوجية، لهذا المفهوم ودوره السياسي، في تشكل السلطة وقيام الدولة، فهو يعتبرظاهر ة العصبية، بمثابة المحور الذي تدور حوله معظم البحوث الاجتماعية والسياسية.

إن ما تؤكده الأبحاث المتخصصة، هو أن المجتمع الإنساني مر في البدء بثلاثة مستويات اجتماعية متشابهة، من الأسرة، إلى العشيرة، إلى القبيلة، وأهم ما تتميز به هذه المستويات، هي قوة الروابط والعلاقات، ومن ثم التناصر والتآزر، وذلك كان الطريق الأكثر ضماناً الذي يكفل الحماية للإنسان، ليس فقط من المخاطر الطبيعية، بل أيضاً من صراع بني الإنسان مع بعضهم البعض عن طريق التناصر والتآزر، وهما لا يحدثان إلا من خلال هذه المستويات، ونجد ذلك واضحاً كل

[1] أمينة كرابية:طبيعة الربطة الاجتماعية في المجتمع الحضرية، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2017 منشورة على موقع:-http://www.univ-oran2.dz/images/these_memoires/FSS/Doctorat/TDSSA

الوضوح في نظرية العصبية عند (ابن خلدون)، "فلم تكن العصبية تعني التعاضد والتناصر والتآزر، فحسب بل انها تكسب الإنسان منعة ورفعة وشرفاً ومزايا أخلاقية سامية، وإن لم تكن تنشأ إلاّ بفعل قوة العصبية وغلبتها، وتمر بالأطوار الثلاثة المعروفة "، قد يقال إن (ابن خلدون) استقى نظريته هذه من واقع المجتمع العربي الذي نشأ فيه، ولكن هذا لا يعني أن المجتمع البشري لم يمر بالمستويات الثلاثة السالفة الذكر، مع الاختلاف بطبيعة الحال في نسبة قوة هذه الروابط من مجتمع إلى آخر، وهي على كل حال في المجتمع العربي أكثرقوةً وضوحاً وتماسكاً .

إن القيم الأخلاقية متأصلة في المجتمعات الإنسانية وذات جذور عميقة في تاريخ المجتمعات البشرية، نلمس فيها دور الدين أكثر مما نلمس دور الفلسفة والعلم، مع التسليم بأن الفلسفة تعتبر أم العلوم الإنسانية، باعتبارها الباحث عن الحقيقة، التي لم تترك جانباً أو مجالاً من مجالات البحث والعلوم والتأمل فيه خدمة للإنسانية ولفضيلة الأخلاق إلا وتناولته، ولهذاشكّل علم الأخلاق أحد اهتماماتها الرئيسية، منذ أن أخذت القيم والفضائل تتبلور لدى الإنسان كفكرة أو أفكار تحثه على البحث والتفكير والتأمل. إن حاجة الإنسان للقيم والفضائل، تتطلب ممارسة الكثير منها في واقع الحياة مقرونة بالضوابط الحازمة التي تحميها وتحافظ عليها.

ولهذا أعطى معظم الباحثين الذين اهتموا بالفكر الخلدوني، والدراسات الخلدونية للعصبية، مفهوم التماسك والترابط، فهم يرون أن هذه الظاهرة، عبارة عن رابط اجتماعي، يمتاز بالتماسك بين أفراد النسب الواحد، وتظهر في القبيلة(المجتمع البدوي)، بصورة واضحة، وأبرز هؤلاء الدارسين محمد عابد الجابري، الذي يُعرف العصبية في كتابه "العصبية و الدولة" على أنها "رابط اجتماعي سيكولوجية، شعورية

ولا شعورية، تربط أفراد جماعة، قائمة على القرابة المادية والمعنوية، ربطا مستمرا يبرز، عندما يكون هناك خطر، يهدد أولئك الأفراد، كأفراد أو كجماعة."2

ويعرفها الحصري "تدل على تفكير فاحص ونافذ، تفكير معمق فيدر اسة الحوادث الاجتماعية وفي تحليل الوقائع التاريخية، وهي قادرة على إظهار، أوثق أنواع الروابط الاجتماعية وتعيين أهم أشكال الترابط لاجتماعي."3

كما يعرفها عبد الرزاق المكي –باحث اجتماعي مصري في الفكر الخلدوني – "العصبية كلمة تتأسس اجتماعيا، بصلة الاشتقاق إلى كلمة العصب، بمعنى الشد والربط والأصل في معناها أنها الرابط المعنوية، التي تربط بين ذوي القربى والرحم، فالعصبية مرتبطة بالجماعة، إذن هي رابط اجتماعي "4

ويرى الصغير بن عمار في كتابه"الفكر العلمي عند ابن خلدون" "أن صاحب المقدمة، لم يستعمل هذه الكلمة، بمعناها اللغوي الظاهر، ولا بالمعنى العرقي، بل استعملها بمعنى أوسع من ذلك بكثير، إنه أدخل في نطاق مفهوم العصبية، الروابط الاجتماعية والظواهر التكاتفية والتناصرية، وبذلك أصبحت العصبية مفهوما اجتماعيا Concept sociologique تدخل في المجتمعات و سيرها."5

أما إذا ذهبنا إلى معجم علم الاجتماع المعاصر، فإنُعر ّف العصبية"على أنهامجمو عة أو مجتمع محلي، نشأ على أساس ترابط عائلات، وهي تلتقي مع مفهوم الرابط الاجتماعي بالانجليزية، في كلمة Band "بمعنى الربط والشد"6.هذا ما يوضح

2.محمد عابد الجابري، ***قلو مدالو تيصطا –يلاسا خير تدا افي ة نلاحتيور ن لم اعم***- لبنان، بيروت، دارالطليعة للطباعة والنشر،ط1 1982، ص254.

3.الحصري ساطع ،مرجع سابق، ص154

4.حامد المنجي، ***توظيف مفهوم العصبية في دراسة المجتمع العربي المعاصر*** ،تونس، صفاقص، ط2004،1،ص64.

5.الصغير عمار، ***الفكر العلمي عند ابن خلدون***، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص42.

6.معن خليل العمر، مرجع سابق،ص127.

لنا أن العصبية، لها علاقة كبيرة بالرابط الاجتماعي أو بعبارة أدق، العصبية رابط اجتماعي، تقوم على النسب والقرابة.

إذن تحدث ابن خلدون عن الرابط الاجتماعي، من خلال شرحه لمفهوم العصبية، على أنها الالتحام بالنسب، وبالتالي القرابة هي رابط اجتماعي طبيعي عند البشر، يتميز بالاتصال برابط النسب والقرابة وما إليها من الراوابط المماثلة، حيث يفقد الفرد في هذا التجمع فرديته، ويتقمص شخصية القبيلة أو الأسرة، التي ينتمي إليها وخاصة، في حالة الخطر الخارجي، الذي يهدد كيان العصبية المادي أو المعنوي.

ولأنها تنشأ بين أفراد النسب الواحد في العائلة فالقبيلة، تمر بمراحل تطورية، لتصل إلى المجتمع الحضري، فتتغير شيئا فشيئا لتأثرها بالثقافة الحضرية، أو كما سماها ابن خلدون بحياة الترف الحضري، لأنها تتميز بالقوة و التماسك في البداوة خاصة أثناء الخطر لتضعف في المدينة.كما أن العصبية أيضا عبارة عما تتمتع به القبيلة أو الأسرة من القوة والجاه اللذان يجعلان من أفرادها جمعا متراص البنيان.[7]

.

[7] أمينة كرابية: المرجع السابق، ص 87